الغابة

محمود سالم

الغابة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الغابة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٢ ٢٧٨٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٩.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الصوت الجميل!	١١
«غابة الموت»!	١٧
الموت وجهًا لوجه!	٢٣
اختطاف إلهام!	٢٩
في الأسر!	٣٣
من مأزق ... إلى مأزق!	٣٧
الخدعة الكبرى!	٤٣
الشياطين فقط!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الصوت الجميل!

ذهل الشياطين وقد أحسوا أنَّه قد تمَّ خداعهم بمهارة، وأنَّ عَدُوَّهم الخفي قد نجح في جرِّهم إلى مصيدة الغابات «البرازيلية» الرهيبة، كانوا قد حاولوا البحث عن طريقٍ؛ للخروج من الغابة بسيارتهم وسيارة الفريق العربي «سالم» و«ممدوح» المشتركة في سباق الموت، وفشلوا في العثور على طريق الخروج من الغابة بعد أن اختفت كافة العلامات المؤدية لخارج الغابة ...

وكانت المغامرة قد بدأت منذ أيام قليلة، عندما أخبرهم رقم «صفر» أنَّ ابن أحد الشخصيات العربية الهامة «سالم» قرر الاشتراك في سباق خطير للسيارات يخترق أمريكا الجنوبية من «ريودي جانيرو» وحتى عاصمة «بيرو» «ليما»، وأنَّ هناك معلوماتٍ تفيد أنَّ بعض الإرهابيِّينَ سوف يحاولون اغتيال «سالم» خلال السباق، لحساب إحدى الدول المعادية للعرب ... وعلى الفور تمَّ تكليف فريق من الشياطين وهم «أحمد» و«عثمان» و«قيس» و«إلهام» و«زبيدة» بالاشتراك في السباق لحماية سيارة «سالم» ومساعده «ممدوح»، وخلال الجزء الأول من السباق الذي يجري بلا توقُّف، تعرَّضَت سيارة «سالم» لأكثر من هجوم، قام الشياطين بصدِّه، وأقنعوا «سالم» و«ممدوح» بمرافقتهم؛ لحمايتهم حتى نهاية السباق، خاصة وهم يملكون سيارة مُجهَّزة تمامًا للقتال ...

وانطلقَتْ سيارة الشياطين والسيارة المعاونة لها وسيارة الفريق العربي، وقادتهم إشارات السباق إلى داخل الغابة، حيث استحال عليهم الخروج منها بعد إزالة العلامات ... واكتشف الشياطين أنَّهم وقعوا في فخ بتغيير علامات الطريق، حتى يخترقوا غابات الأمازون الشهيرة ... حيث الداخل إليها مفقود ... ويستحيل الخروج منها، خاصة لَمَن يجهل دروبها ومسالكها المتشعبة والتي تمتلئ بآلاف المخاطر الطبيعية ...

تأمَّلَ «عثمان» الأشجار الباسقة الضخمة حوله، والأرض المغطاة بالأعشاب وأوراق الشجر الملوَّنة، وبعض الطيور المغرِّدة، وقال مهوِّنًا على رفاقه: إنَّ المكان يبدو رائعًا ... كأنَّه حديقة كبيرة ...

قالت «إلهام»: هذا ما يبدو للعِيان ... ولكنَّ الحقيقة غير ذلك؛ فهذه الغابات أشبه بجلد ثعبان مُزَرْكَش مُبهِج ... ولكنَّ السُمَّ يكمن في داخله.

أحمد: معكِ حق يا «إلهام» ... إنَّ الموت يكمن في كل خطوة نخطوها داخل هذه الغابات، وعلينا أن نكون حذِرينَ أشدَّ الحذر، لأنَّ أيَّ خطوة خاطئة قد تعني النهاية لأيٍّ منَّا ...

هتفَ «قيس» في غضب: هؤلاء الملاعين ... لماذا لا يواجهونا الندَّ للندِّ؟

زبيدة: لقد واجهونا يا «قيس» وهزمناهم ... ولذلك لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى الخدعة للتخلُّص منَّا ...

تساءل «عثمان»: ومن تظنُّون يقفُ خلف هذه العملية؟

هزَّ «أحمد» كتفيه وهو يتطلع حوله قائلًا: مَن يدري ... قد يكونون «سادة العالم» أو «الأصابع السوداء» أو غيرهم من العصابات الجهنمية التي واجهناها من قبل.

إلهام: لا أظنُّ يا «أحمد» ... إنَّ هذه العصابات لا تلجأ للخديعة بمثل هذه الطريقة ... وإذا ما هزمناهم مرةً، فلن يكفُّوا عن إرسال مَن يقاتلنا مرةً تِلْوَ الأخرى ... لا مَن يخدعنا.

نطق «سالم» أخيرًا قائلًا: وما العمل الآن؟

زبيدة: سنحاول الخروج من هذه الغابات ...

– ولكن كل الطرق حولنا مسدودة.

– سنحاول الخروج منها على أقدامنا، قالها «أحمد» بوجهٍ مقطب.

واعترضَتْ «إلهام» قائلةً: ولكن هذا خطر ... خطر جدًّا ...

أحمد: وهل لديكِ حلٌّ آخَر؟ إنَّنا لا نستطيع الاتصال برقم «صفر» أو بقية الشياطين.

قال «عثمان»: لقد صادَفْنا أخطارًا أقسى وأخطر من ذلك، فلا داعي للتشاؤم المبكِّر.

ربتَ «أحمد» على كتف «عثمان» قائلًا: معكَ حق يا «عثمان» ... إنَّنا بحاجة إلى أن نعيد الثقة في قدراتنا وسرعة تصرُّفنا.

عثمان: وعضلاتنا وأسلحتنا!

أحمد: لا أظنُّ أنَّنا سنحتاج إليها هنا ... إنَّ أخطر ما قد يواجهنا هي النمور الأمريكية، وهي قليلة العدد على أيِّ حال، ولا تتوغل داخل الغابات، بل تعيش بالقرب من أماكن المياه والأنهار ...

عثمان: هذا عظيم ... فإذا ما تشرَّفنا بمقابلة نمر فسنعرف أنَّنا قريبِينَ من مياه للشرب ...

إلهام: لا يمكنكَ أن تشرب مياه الأنهار في هذه الغابات يا «عثمان» ... إنَّ بعضها سامٌّ، والبعض الآخَر قد يسبِّب أمراضًا تقضي على الإنسان ... قبل مرور أسبوع.

اتسعَتْ عَيْنا «عثمان»، وهتف قائلًا: وكيف سنشرب إذًا؟

ردَّت «إلهام»: إنَّ هناك وسائل عديدة للحصول على الماء العذب المقطَّر في الغابات، فلا تقلق لذلك ... ولكن علينا الآن بتسليح أنفسنا، فلا ندري ماذا سنواجه من أخطار ... والأهم من ذلك أن تكون ملابسنا طويلة تغطي كل أجزاء أجسامنا لحمايتنا من الحشرات ... والعلق ...

تساءل «عثمان» باهتمام: وما هو هذا العلق؟

ردَّت «إلهام» باسمة: ستعرف حينما يسقط عليك أحدها.

أسرع الجميع يرتدون ملابس طويلة تغطي أذرعتهم، ووضعوا أطراف بنطلوناتهم في أحذيتهم، ثم تسلَّحوا جميعًا بما يشبه المنجل؛ لفتح طريقهم داخل الغابات، واحتفظ «أحمد» بمسدس به تسع طلقات وتسلَّح «عثمان» بقنبلتَينِ يدويتَينِ صغيرتَينِ، وتأهبوا جميعًا للسير ... قال «أحمد» سنكون أشبه بالمستكشِفِينَ الأوائل ... وعلينا أن نترك علامات على جذوع الأشجار الكبيرة ترشدنا إلى الطريق عند عودتنا ... ولن نحمل طعامًا أو شرابًا حتى لا تعوقنا عن الحركة، وسوف نجد طعامًا وشرابًا في هذه الغابات الواسعة ... هيا بنا.

وساروا جميعًا ... «أحمد» و«إلهام» في المقدمة، وخلفهما «سالم» و«ممدوح»، ثم «زبيدة» و«عثمان» و«قيس» في المؤخرة ... وأخذ «أحمد وإلهام» يشقَّان بِسكِّينتَيْهما المُعْوَجَّتَينِ (المناجل) طريقًا راحوا يسيرون فيه جميعًا بهمَّة ونشاط، وهم يتطلَّعون إلى مشاهد الطبيعة البِكْر حولهم بإعجاب وانبهار أنساهم دقَّة الموقف والمأزق الذي يعانون منه ... كان الجو رطبًا مشبعًا ببخار الماء، فقد كانت الأشجار العالية حولهم تُشكِّل ما يشبه الغطاء فوقهم بقممها العالية، وتمنع وصول أشعة الشمس إلى الأرضية، لذلك كان الجو رطبًا حولهم مليئًا ببخار الماء ...

وكانت هناك أنواع عديدة من الأشجار حولهم متفاوتة الطول والحجم، ومدَّ «سالم» يده نحو زهرة حمراء مبهجة، وقد أعجبه ألوانها، وقبل أن يمسَّها صاحت فيه «إلهام» محذِّرة: حاذر يا «سالم».

تراجعَ «سالم» على الفور، ونظر إلى «إلهام» بدهشة، وقالت «إلهام»: إنَّ الكثير من نباتات هذه الغابات وأزهارها سامٌّ ... وهناك آلاف الأنواع منها بهيج الشكل، ولكن عصارته

تحمل سُمًّا زعافًا ... وحيث إنَّنا نجهل السامَّ منها من السليم، فلذلك علينا تجنُّبها كلها ... إنَّ بعضها قد يكون جميلًا رائعًا، ولكنَّه يحمل الموت في طياته ...

أحمد: معكِ حقٌّ يا «إلهام».

وتعالى من أعلى صياحٌ عالٍ صاخب لطائر ذي ألوان صارخة، فقالت «إلهام» باسمةً: إنَّها ببغاء «الماكاو».

على الفور ردَّدت الببغاء: ماكاو ... ماكاو ... ماكاو، وحلَّقت فوقهم، ثم طارت مبتعدة ... ولكن فجأةً، ظهر أمامهم حيوان عجيب الشكل، طوله يصل إلى المتر، له رأس مثلث، ذات فم مسحوب للأمام، بشدة تنتهي بما يشبه الخرطوم، وجسمه ضخم له ذراعان أماميتان قويتان ذات مخالب رهيبة.

وصاح «عثمان»: احترسوا من هذا الحيوان الرهيب.

وأمسك بإحدى القنبلتَينِ اليدويتَينِ في يده، يتأهَّب لإلقائها على الحيوان، فصاحت «إلهام» به: انتظر يا «عثمان».

توقَّفَ «عثمان» مندهشًا ... كان الشياطين ورفيقاهما يقفون متقاربِينَ، والحيوان العجيب يخطو أمامهم بهدوء وبطء، وهو يتشمَّمُ الأرض باحثًا عن شيء ما. وهمس «عثمان» لـ «إلهام»: إنَّه يستعد للهجوم علينا.

ردَّت «إلهام» باسمة: إنَّه لا يحسُّ بوجودنا ... فهذا هو حيوان «الطماندوة» آكل النمل.

تساءل «سالم» بدهشة: آكل نمل ... بكلِّ هذا الحجم؟

إلهام: هذا صحيح تمامًا ... إنَّه حيوان هادئ مسالِم يعيش على أكل النمل ... ولكنَّه إذا ما ثار فإنَّ النُّمور التي تعيش هنا تفضِّل الهرب من وجهه، وعدم ملاقاة مخالبه الرهيبة.

وراقبوا الحيوان العجيب وهو يبتعد حتى يغيب عن أنظارهم ... وما كادوا يهمُّون بالتحرُّك حتى قفز نسناس صغير عجيب الشكل، لا يزيد طوله عن خمسة عشر سنتيمترًا له ألوان صفراء، وقفز النسناس بخفَّة عجيبة، قاطعًا ما يزيد عن خمسة عشر مترًا في القفزة، فهتف «قيس» بإعجاب: قفزة رائعة!

إلهام: إنَّه النسناس العنكبوت ... ويُطلِقون عليه هذا الاسم؛ لأنَّه أشبه بالعنكبوت ...

وراقبوا النسناس، كانت له بالفعل أطراف طويلة نحيلة، أشبه بأرجل العنكبوت، وراقبهم النسناس بعينَيْه الصغيرتَينِ بفضول بالغ، وهو معلَّق من ذيله فوق أحد الأغصان، ثم تأرجح وقفز مبتعِدًا وغاب عن أنظارهم ... ثم تبعه عددٌ آخَر من ذات فصيلة النسناس، وهي تقفز في خفَّة عجيبة ...

قال «أحمد» ضاحكًا: دعونا نواصل سَيْرنا. فلو انتبهنا لكلِّ ما يمرُّ بنا وتوقفنا لمشاهدته لاحتجنا إلى مائة عام على الأقل!

واصلَتِ القافلة سيرها، ومضت عدَّة ساعات في سيرها المرهق، أوشك الليل على الحلول، وقد قطعوا برغم ذلك مسافة قليلة، بسبب سيرهم البطيء داخل الغابات الكثيفة، واضطرارهم إلى وضع علامات على الأشجار التي يصادفونها كي لا يضلوا طريقهم …

والتفت «أحمد» إلى «إلهام» (وقد حلَّ الليلُ وسادَتِ العتمةُ المكان) وقال لها: من الأفضل أن نعسكر هنا، فالتجوال في الليل خطر جدًّا …

وقبل أن تجيب «إلهام» على «أحمد» اتسعت عيناها ذعرًا، ثم صرخَتْ صرخة مفزعة. انتبِهْ يا «أحمد»!

ولكنَّ صرختها المحذِّرة جاءت متأخرةً جدًّا … فمن فوق أحد أغصان الأشجار القريبة انقضَّ نمر أرقط هائل الحجم نحو «أحمد» وقد مدَّ مخالبه الرهيبة للأمام، وبرقَتْ عيناه في الظلام مشعَّتَينِ كجمرتَينِ مشتعلتَينِ بالنار …

«غابة الموت»!

عندما التفت «أحمد» نحو صرخة «إلهام» أدرك أنَّه ليس بإمكانه أن يفعل شيئًا، فلم يكن يفصله عن النَّمر الواثب عليه إلا أقل من خمسة أمتار يقطعها النَّمر في أجزاء من الثانية، وهو منطلق كالقذيفة نحوه، ومحاولة إطلاق الرصاص عليه تبدو بلا جدوى، لأنَّ شيئًا لا يستطيع أن يسبق النَّمر المخيف، كما أنَّ أيَّة محاولة للهرب لن تُجدي، فلا شيء يفوق ذلك النَّمر سرعةً بمخالبه المرعبة، الممددة للأمام ...

لم يتحرك «أحمد» من مكانه، وجمد الشياطين كأنَّهم خطوط فوق لوحة مرسومة ... ولكن قبل أن تصل مخالب النَّمر نحو «أحمد» انتبه الشياطين للخطر الرهيب، وأفاقوا من جمودهم الذي لم يستغرق إلا أجزاءً قليلة من الثانية ... وفي نفس اللحظة حدث شيئانِ معًا ... كرة «عثمان» المطاطية الرهيبة «بطة»، والتي انطلقت كقذيفة الموت نحو النَّمر ما بين عينيه، وأصابته في ضربة رهيبة، كأنَّها طلقة رصاص ... وفي نفس اللحظة كان منجل «إلهام» قد طار في الهواء نحو صدر النَّمر الواثب لينغرز فيه ... وفوجئ النَّمر بالهجوم المباغِت ... الكرةُ التي أصابته بين عينَيْه فآلَمَتْه وأفقدَتْه التركيز والرؤية الصحيحة ... والمنجل الذي انغرز في بطنه فسقط فوق الأرض لا يبعد عن «أحمد» غير سنتيمترات قليلة، وزأر زئيرًا متوحشًا موجعًا، وابتعد والدماء تسيل من جرحه الكبير.

واندفع بقية الشياطين ومعهم «سالم» و«ممدوح» يطمئنون على «أحمد»، فقال يطمئنهم باسمًا: لا شيء، إنَّ الوقت لم يتَّسِعْ له حتى يلمسني، مسكين هذا النَّمر ... إنَّه غير معتاد على ملاقاة الشياطين في غابته البكر ...

استعاد «عثمان» كرته الرهيبة وهو يقول: لقد بدأتُ أفكِّر جديًّا في اعتزال مهنتنا والمعيشة في هذه الغابة كما فعل طرزان ...

انفجرَتْ «زبيدة» ضاحكة وهي تقول: ستكون طرزان أسمر اللون ...

عثمان: هذا من باب التجديد.

وانفجروا جميعًا ضاحكِينَ، وغابَتْ عنهم لحظات التوتُّر والقلق التي عاشوها منذ لحظات ... وقالت «إلهام» لـ «أحمد» حمدًا لله أنَّني تصرَّفْتُ في اللحظة المناسبة ...

قال «أحمد» باسمًا: حقًّا، لقد نجوتُ بأعجوبة.

إلهام: لم أشعر من قبلُ أنَّ الموت قد يكون قريبًا منَّا إلى هذه الدرجة ... ولعل هذا الإحساس وتوتُّري المستمر منذ دخلنا هذه الغابة هو الذي دفعني إلى التصرُّف في الوقت المناسب.

أحمد: إنَّني مدين لكِ بحياتي.

إلهام: لقد أنقذتَ حياتي من قبلُ عشرات المرات ... والشياطين لا يدينون لبعضهم، وسرُّ قوتهم وانتصارهم في مواقفهم الإنسانية وسرعة نجدتهم لبعضهم ...

بعد قليل، أسرعت «إلهام» نحو «زبيدة» و«عثمان» و«قيس» الذين شرعوا في تسوية الأرض وتغطيتها بالأعشاب، والتأكُّد من خلوها من الحشرات للنوم ... وأحضرت «إلهام» بعض الأعشاب الجافة وأوقدت فيها النار وهي تقول: هذه النار ستبعد عنا الحيوانات المفترسة، وستمنحنا الدفء والضوء ...

أحمد: هذا صحيح ... وإن كانت ستجذب لنا عددًا لا نهاية له من الحشرات التي سيجذبها الضوء ... ولم يكد «أحمد» يتم عبارته حتى صرخ «عثمان» وأخذ يقفز بجنون، وهو يقفز قفزات عجيبة ممسكًا بذراعه بطريقة مؤلمة ... واندفع الباقون نحوه بقلق وهتف «أحمد» به: ماذا حدث يا «عثمان»؟!

توقف «عثمان» عن الصراخ والقفز وأشار إلى ذراعه العارية التي ارتصَّ فوقها عدد من الحشرات السوداء التي بدَتْ وكأنَّها انغرزت في ذراعه العارية ... وصاح «عثمان» بألم شديد: إنَّ يدي تؤلمني، كأنَّ بها آلاف الإبر توخزني ... هذه الحشرات الملعونة تسبب لي ألمًا لا يطاق ولا أستطيع إبعادها عن ذراعي ...

أخرج «أحمد» سكينًا صغيرًا وهو يقول: سوف أنتزعها من ذراعك.

صاحت «إلهام» محذِّرةً: لا يا «أحمد» لا تستعمل أي سلاح.

توقَّفَ «أحمد» مندهشًا، واقتربَتْ «إلهام» وهي تقول: هذه حشرة العلق ... إنها تدفن رأسها تحت الجلد، وتمتص الدم، ومحاولة إبعادها بالسكين سينتج عنها إبعاد جسم الحشرة، على حين يظل رأسها مدفونًا تحت الجلد يسبب ألمًا فظيعًا.

صرخ «عثمان» بألم وغضب: وما العمل مع هذه الحشرات الملعونة ...

إلهام: لقد حذرتك من قبلُ يا «عثمان» بعدم تعرية ذراعيك.

أحمد: المهم أن نجد حلًّا للموقف الآن؟

ردَّت «إلهام»: ليس هناك سوى وسيلة وحيدة للتخلُّص من هذه الحشرات ... وأرجو أن يتحمل «عثمان» آلامها.

ردَّ «عثمان» بألم: إنَّ كل شيء محتمل عدا وخزات هذه الحشرات اللعينة ...

أمسكَتْ «إلهام» بغصن مشتعل وقربته من ذراع «عثمان»، ومسَّت به الحشرات الملتصقة به، وأغمض «عثمان» عينَيْه متألمًا ... وفعلَتِ الحرارةُ فِعلها، فأخذت الحشرات تُخرج رءوسها من تحت جلد «عثمان» ثم تقفز مبتعدة، إلى أن ابتعدت كلها ... جلس «عثمان» فوق الأرض، وقد ظهرت نقاطٌ من الدم فوق ذراعه، وربطَتْ «زبيدة» ذراعه وهي تقول: من المؤسف أنَّه لا توجد لدينا أيَّة وسائل لتطهير الجروح هنا ...

ولم يرد «عثمان»، بل أغمض عينَيْه لشدة ألمه، وغرق في النوم ... وتمدَّد الباقون بجواره، على حين ظهر الألم على وجه «سالم» وقال لـ «أحمد»: إنَّني آسف لأجلكم ... كل هذا حدث من أجلي.

أحمد: لا عليك ... هذه هي حياتنا المعتادة، إنَّها مزيج من الخطر والألم والنصر؛ فلا تعتذر عن شيء لا حيلة لأحد فيه.

وتمدَّد الجميع نائِمِينَ عدا «أحمد» و«إلهام» اللذين بقيا للحراسة. وشرِدَتْ عينا «إلهام»، وظهر فيهما ألم عميق، حتى كادت تطفر منها الدموع، فقال لها «أحمد» بقلق: «إلهام» ... فيما تفكرين؟

التفتَتْ «إلهام» نحو «أحمد» وجاهدَتْ لكَبْتِ دموعها وهي تقول: «أحمد» ... أتظنُّ أنَّنا سنخرج أحياء من هذا المكان.

أحمد: لقد اعتدنا دائمًا أن نبدأ مغامراتنا بدون أن نسأل أنفسنا هذا السؤال.

– ولكن هذه المرة تختلف تمامًا ...

وقفز أمامها نسناس صغير لطيف الشكل، راح يرمقهما بنظرات فضولية، ثم توقف أمام النار كأنَّه يستدفئ بها ... ابتسم «أحمد» ونظر إلى «إلهام» وقد أشاع وجود النسناس بينهما شيئًا من الراحة والهدوء، وقال «أحمد» «لإلهام»: علينا أن نكون طبيعيَّيْنِ هنا مثل النسناس ... هذه هي وسيلتنا الوحيدة للنجاة والخروج من هذه الغابات ...

إلهام: ولكن هذه الغابات تمتد ملايين الكيلومترات ولا نهاية لها، ولم يدخلها إنسان ويخرج منها حيًّا ...

قال «أحمد» برفق: سنكون أول مَن يفعل ذلك، بإذن الله، وها أنت تَرَيْنَ أنَّ الأمور ليست سيئة تمامًا ...

عادت «إلهام» تسأل: ورقم «صفر»، أتظنُّ أنَّه يعرف بما جرى لنا؟

أحمد: هذا مؤكد ... لا شك أنَّه يتابع سيارات السباق واكتشف اختفاء سياراتنا، وأدرك أنَّنا توغلنا في الغابات ...

إلهام: وهل تظنُّ أنَّه سيرسل بقية الشياطين لإنقاذنا؟

حدَّق «أحمد» في النار المتوهجة أمامه بجمود وقال (كأنَّه يعترف بالحقيقة): المشكلة هي كيف سيعثر بقية الشياطين علينا ... أو كيف سنعثر نحن عليهم؟

وكان سؤالًا بلا إجابة، وفجأةً قفز شيء ضخم من أمامهم طائرًا في الهواء، وفزعت «إلهام».

فقال «أحمد» يطمئنها: إنَّه خفاش عملاق ... بعض الخفافيش التي تعيش هنا يبلغ طولها حوالي متر ... وبعض السحالي يصل طولها إلى متر ونصف، كما أنَّ هناك نوعًا من الثعالب تعيش هنا لها ما يشبه الأجنحة، وتستطيع الطيران في خفة بين أغصان الأشجار ...

فجأةً تعالى عواء وصريخ على بُعد ... كان الصوت عاليًا حادًّا ... وسرعان ما جاوبته صرخات مماثلة حادة عالية ذات ضجيج يصمُّ الآذان، حتى كأن كل ركن في الغابات حولهم انطلق يعوي ويصرخ بطريقة مفزعة ... وتساءل «أحمد» بدهشة: ما هذه الأصوات؟

إلهام: إنَّها النسانيس العوَّاءة ... وهي نوع من النسانيس الصغيرة لها قدرة عالية على الصراخ والعواء بأصوات عالية، ولا تتعب من الصراخ أبدًا ... وسادَتْ لحظات من هدير العواء والصراخ الذي يصمُّ الآذان ... وكما تعالى العواء فجأةً، سكن وساد المكان صمت رهيب ... واقترب نسناس صغير من «إلهام» فمدَّت يدها إليه، فقفز نحوها في اطمئنان، فربتت عليه في ودٍّ، فقال «أحمد» ضاحكًا: ها قد بدأنا في تكوين أولى الصداقات في هذه الغابة ...

إلهام: مَن يدري ... لعله يكون فألنا الحسن في مغادرة هذه الغابات ...

وأخذت تمسح فوق رأس النسناس الصغير الذي أغمض عينَيْه واستكان بين ذراعَيْها، وبدا كأنَّه قد نام ... وتثاءبت «إلهام» أيضًا، فقال «أحمد» لها: تستطيعين أن تنامي يا «إلهام»، وسأبقى للحراسة وحدي ... أنتِ متعبة، وأنا لا أحس بأيِّ رغبة في النوم الآن!

ابتسمَتْ «إلهام» شاكرةً لـ «أحمد»، وتمدَّدَتْ فوق الأرض العشبية، والنسناس الصغير بين ذراعَيْها، ولكن فجأةً قفز النسناس صارخًا بجنون من بين ذراعَيْ «إلهام»، وأسرع

إلى أقرب شجرة، وبقفزة واحدة صار فوق أغصانها، وواصل صياحه وصراخه في رعب ... وفزعت «إلهام» ونظرَتْ إلى «أحمد» متسائلةً عن سبب صياح النسناس ورعبه ... وقبل أن يجيبها «أحمد» بشيء وقع بصرها على ثعبان من فصيلة «الأناكوندا» الرهيب، يبلغ طوله أكثر من ستة أمتار ... وكان الثعبان الرهيب قد زحف حتى صار على مسافة لا تزيد على المتر من «إلهام»، ورفع رأسه الرهيب نحوها، وعيناه تشعَّان كالماس المصقول ... وأحسَّتْ «إلهام» بالشلل ولم تستطع حتى التنفس ... وبدا واضحًا أنَّ أيَّ حركة منها سوف يتبعها هجوم الثعبان عليها بسرعة البرق ليعضها عضة واحدة ... تؤدِّي للموت خلال ثلاث ثوانٍ!

الموت وجهًا لوجه!

تحرَّكَ «أحمد» ببطء شديد ... لم يكن الثعبان الرهيب قد انتبه إليه، وهو جالس على مسافة قريبة منه، وحاول «أحمد» ألا يصدر عنه أي صوت يفزع الثعبان فيدفعه للدغ «إلهام» على الفور ... أمَّا «إلهام» فقد اتَّسعَتْ عيناها عن آخِرهما وهي تنظر للثعبان بعينَين مفزوعتَين، وهي لا تقدر حتى على الصراخ ... والباقون نائمون حولها لا يحسون بالخطر ... وساد صمت وسكون رهيبان، وكفَّ النسناس الصغير عن الصراخ، وأخذ يحدِّق بأسفل كأنَّه يريد أن يرى كيف سينتهي الموقف ... كان «أحمد» بلا سلاح ... فالمنجل والمسدس كانا بجوار «إلهام»، ولم يكُن باستطاعته الوصول إليهما ... ولا كان باستطاعة «إلهام» استخدامهما لأنَّ الثعبان (الأناكوندا) الرهيب لن يترك لها فرصة للحركة ... كما كانت محاولة «أحمد» للدخول في صراع يَدَوِي معناه الانتحار لـ «أحمد» على الفور، فالثعبان يملك عضلات رهيبة تستطيع أن تسحق أيَّ إنسان مَهْما بلغَتْ قوته ... ولم يكن باستطاعة «أحمد» أن يترك «إلهام» لمصيرها، فقد كان الموت عنده أهون من ذلك ...

وحرَّك الثعبان رأسه للخلف ... وكانت هذه إشارة منه لتأهبه للهجوم على «إلهام» وتقلَّصَتْ أصابع «أحمد» فوق الأرض فعثرَتْ على لحاء إحدى الأشجار الطويلة فيما يشبه الحبل، وعلى الفور لمَعَتْ الفكرة في ذهن «أحمد» ... وبخفة وسرعة عقدَتْ أصابعه أنشوطة قوية، وطوَّح «أحمد» بالأنشوطة في الهواء تجاه رأس الثعبان المرفوع، والتي انطلقت كالسهم نحو «إلهام» لتلدغها اللدغة القاتلة، ... وأغمضت «إلهام» عينَيْها يائسةً من النجاة، وحتى لا تشاهد العضة المميتة ... ولذلك لم تشاهد ما حدث ... فقبل أن تصل أنياب الثعبان نحو ذراع «إلهام» التفَّت الأنشوطة حول رقبة الثعبان، وجذبه «أحمد» بقوة، وفوجئ الثعبان بالحركة التي أفقدَتْه توازنه، وأصابه غضب هائل وانقض على «أحمد»

ولكن «أحمد» قفز مبتعدًا نحو مكان «إلهام» فدفعها بعيدًا في اللحظة التي عاود فيها الثعبان هجومه، وقبل أن ينقضَّ على «أحمد» كانت يد «أحمد» أسبق بإمساك مسدسه، وبطلقة واحدة في رأس الثعبان تهاوى فوق الأرض …

وفزع النائمون وهَبُّوا مذعورِينَ على صوت الرصاص … وكان مشهد الثعبان الرهيب الممدَّد أمامهم فيه الإجابة عن تساؤلهم … وانفجرَتْ «إلهام» باكيةً وهي لا تصدق أنَّها نجَتْ، فاحتضنتها «زبيدة» في رفق وراحت تربت على شعرها مهدئةً، وقد أدركَتْ ما حدث، وأخذت تقول «لإلهام» بإشفاق: لقد انتهى كل شيء، إنكِ بخير …

وكان الموقف مؤلمًا لبقية الشياطين … لأنَّهم لم يعتادوا أن يشاهدوا أحدهم يبكي … خاصة «إلهام» التي كانت تتميز بشجاعة نادرة وجرأة بالغة … وكان بكاؤها دليلًا على أنَّ الأمر كان فوق طاقتها … وقال «عثمان» بتصميم: علينا أن نغادر هذه الغابات الملعونة بأيِّ ثمن … وأقسم لأنتقمنَّ شرَّ انتقام ممَّنْ خدَعَنا وجرَّنا إليها.

قال «أحمد» بلهجة مخيفة: لسوف يكون ثمن دموع «إلهام» غاليًا … سأجعلها تمطر نارًا فوق رءوس هؤلاء المجرمِينَ …

وانقضى الليل برغم كل شيء … وتناوب «أحمد» و«عثمان» و«قيس» الحراسة، وفي الصباح كانوا جميعًا في تمام الاستعداد والتأهب … واستعادَتْ «إلهام» رباطة جأشها وقوتها، وتناسَتْ أحداث الأمس … وبدءوا سيرهم في الصباح المبكِّر، وقالت «زبيدة»: إنَّني جائعة …

وأفاق الجميع على كلماتها … واكتشفوا أنَّهم جميعًا جائعون، فهم لم يتذوقوا الطعام منذ ما يزيد على أربعة وعشرين ساعة، وقد أَنْسَتْهم الأحداث السابقة جوعهم وعطشهم … وتطلَّعَتْ «زبيدة» حولها بِحَيْرة … كان أمامها عدد لا حصر له من الفواكه الغريبة والنباتات المختلفة، ولكن ما أدراها أيُّها يصلح للطعام وأيُّها سامٌّ؟

قال «عثمان» بقلق: ما العمل … لا يمكننا أن نخاطر بأكل أيٍّ من هذه الفواكه والنباتات فقد يكون بعضها سامًّا …

إلهام: الأمر سهل وبسيط … فأيُّ نباتات وفواكه تشاهدون الطيور والنسانيس تأكلها هي فواكه ونباتات لا حذر منها، فقد تعلَّمَ سكان هذه الغابات أن يميزوها على مدار آلاف السنين …

وبالفعل، اقتطفوا بعض الثمار الحمراء والصفراء التي شاهدوا النسانيس تأكل منها، وكان مذاقها لذيذ … واكتشفوا وجود أشجار جوز الهند فكانت فرحتهم عظيمة فأكلوا

منها، وارتووا حتى أحسوا بالامتلاء ... واحتفظ «قيس» بعدد من ثمرات جوز الهند معه، وما كادوا يهمُّون بالسير حتى تعالى العواء والصراخ من النسانيس العوَّاءة، وصار صوتها يصمُّ الآذان وهي تحيط بهم من فوق رءوس الأشجار ...

وصاح «عثمان» في غضب: هذه النسانيس الملعونة ... أتظنُّ أنَّ صوتها موسيقيًّا؟

وأمسك بإحدى ثمار جوز الهند وصوبها نحو أحد النسانيس في غضب، قبل أن تتمكن «إلهام» من منعه وتحذيره ... وحدث ما كانت تخشاه «إلهام»، فقد انطلقَتِ القذائف نحوهم من فوق رءوس الأشجار، فأخذَتِ النسانيس تقذفهم بكل ما تصل إليه أيديهم في تصويبات محكمة ... ثمار جوز الهند، أغصان الأشجار ... وكل ما يمكن قذفه ... وأسرع الشياطين ورفيقاهما بالاحتماء خلف بعض الأشجار من وابل الأشياء المتساقطة عليهم ... وقال «عثمان» ذاهلًا وهو يتحسَّسُ رأسه الذي أُصيبَ بإحدى ثمرات جوز الهند: هذه النسانيس المجنونة ... إنَّها تظنُّ نفسها في حرب ...

قالت «إلهام»: هذه هي طريقتها في الدفاع عن نفسها ... وعندما يوشك أحد النمور على مباغتتها أو صيد بعضها، فإنَّها تهبُّ لمقاومته بمثل هذه الطريقة ...

صَفَّرَ «قيس» بشفتَيْه إعجابًا وهو يقول: دفاع مؤثر ... ولو أنَّني كنت مكان النَّمر لأطلقتُ ساقي للريح ... «هذا هو ما يحدث عادةً!» قالتها «إلهام» باسمة ...

وبعد قليل كفَّ تساقط الثمار والأغصان المنهمرة عليهم، وقلَّ الصخب والضجيج، وانصرفَتِ النسانيس مبتعدة ... وكانت الساحة أمامهم ممتلئة بأكوام من ثمار جوز الهند والفواكه المختلفة التي ألقتها النسانيس ... فقال «عثمان» لو أنني كنت تاجر فاكهة لأصبحتُ ثريًّا بهذه الصفقة، ولشكرتُ هذه النسانيس البلهاء ...

أحمد: وكيف ستنقل هذه الثمار خارج الغابة؟

عثمان: معك حق ... علينا أن نفكِّر في خروجنا منها أولًا!

وهكذا عاودوا مسيرتهم مرة أخرى ... وقرابة الظهر أحسوا بالإرهاق، وتفصَّد منهم العرق، فقال «قيس» وهو يمسح عرقه: إنَّني عطشان بشدَّة ...

زبيدة: تستطيع أن تشرب لبن إحدى ثمرات جوز الهند ...

قال «قيس»: بضيق: لا ... إنَّني أريد بعض الماء ...

إلهام: هذا سهل وميسور ... سنحصل حالًا على برميل صغير من الماء.

واقترَبَتْ من شجرة كبيرة ذات جذع عريض، وقطعَتْ بسكينها قَطْعًا عرضيًّا في إحدى أغصانها، ثم شقَّت نهاية الغصن من أسفل، وعلى الفور انسكب الماء من أسفل الغصن

كما لو كان قد انفتح صنبور ماء، واندفع «قيس» يشرب من الماء وتبعه باقي الشياطين و«سالم» و«ممدوح» وهم متلذِّذون بمذاق الماء الصافي ...

وقال «قيس» بسعادة: إنَّكِ رائعة يا «إلهام» ... لا أدري كيف كنا سنتصرف بدونكِ في هذه الغابة ...

إلهام: هذه الغابات أشبه بكتاب مفتوح لَمَنْ يعرفها ... إنَّ بها كل ما يتمناه الإنسان ويشتهيه ...

وفجأةً قفز أحد النسانيس أمامهم، وعرفَتْه «إلهام»، فقالت باسمةً: ها قد عُدتَ أيُّها الصَّديق.

فقد كان هو نسناس الأمس الذي حذَّرها من ثعبان «الأناكوندا» الرهيب ... ومدَّت «إلهام» ذراعَيْها للنسناس قائلةً: لا أدري كيف أشكرك ... إنَّنا جميعًا مدينون لك ...

وقفز النسناس إلى ذراعَيْ «إلهام»، واستقر فوق كتفها، فقال «أحمد» ضاحكًا: سوف يكون هذا النسناس بمثابة الإنذار المبكِّر بالنسبة لنا ... ماذا تقترحون لتسميته؟

إلهام: سأسميه «صديق» ... فهو الوحيد الذي أبدى صداقته لنا في هذه الغابات.

وظهرَتْ أمامهم مجموعة من الأشجار الضخمة التي شُقَّت فيها بعض الشقوق العرضية المستديرة، وتأمَّلَ «أحمد» الشقوق، وقال بقلق: هذه الشقوق من صنع بشر ...

إلهام: هذا صحيح؛ فهذه أشجار مطاط، وهذه الشقوق يتساقط منها المطاط من أسفل لحاء الشجرة ...

عثمان: ولكن مَن صنع هذه الشقوق؟

إلهام: إنَّهم سكان هذه الغابات الأوائل، فلا شك أنَّهم يعرفون فوائد المطاط، ولا بد أنَّهم يستخدمونه في حياتهم ...

تألَّقَتْ عينا «قيس» بأملٍ قائلًا: إذن، فيمكننا طلب مساعدة هؤلاء الرجال لإرشادنا لطريق الخروج من هذه الغابات ...

ردَّت «إلهام»: لا أظنُّ ... بل من الأفضل لنا أن نتجنب طريق هؤلاء الرجال ما استطعنا ...

– لماذا يا «إلهام»؟

كانت «زبيدة» تسألُ وقد بدا عليها نوع من القلق والتوتُّر للخطر الجديد غير المتوقع، والذي لم يصادفوه من قبل ...

وردَّت «إلهام» ببطء: لا ... إنَّ هؤلاء الرجال هم سكان الغابة الأصليون وهو قبائل الشانتس، إنَّهم طيِّبون، ولكنَّ المستعمرين الذين جاءوا لاستغلال غابات المطاط هم السبب

في تغيُّر طبيعة هؤلاء الأهالي، فقد عامل المستعمِرون الأهالي بقسوة شديدة، خاصة في نقل المطاط خارج الغابات، وكانوا يضربونهم بالسياط، ويحرمونهم من الطعام، ويقتلونهم لأقل سبب، وبدون ذنب، وبعد رحيل هؤلاء المستعمِرين تحرَّر سكان الأمازون، لكنَّهم باتوا ينتقمون من أيِّ رجل غريب يشاهدونه في هذه الغابات، إنَّ كل الغرباء في نظرهم هم مستعمرون جاءوا لقتلهم وتعذيبهم ... ولا نستطيع التَّفاهم معهم، إنَّنا لا نعرف لغتهم، ولا هم يفهمون لغتنا ... وأظنُّ أنَّهم سيتصرفون تصرُّفًا وحيدًا عندما يصادفونا وجهًا لوجه ... سيُصوِّبون سهامهم المسمومة نحونا ويطلقونها ... وسيعتبرون ذلك ردًّا على ما لاقوه من عذاب في الأعوام الماضية على أيدي المستعمِرين ... ولن يُتاحَ لنا حتى فرصة للدفاع عن أنفسنا أمام سهامهم الرهيبة ...

وسكتَتْ «إلهام»، وساد الصمت لفترة قليلة، ثم قال «عثمان» بقلق: ولكن وجود هذه الخطوط في الأشجار تعني أنَّنا قريبِينَ من مكان القبيلة ...

إلهام: هذا صحيح ... ومن الأفضل لنا أن نكون حَذِرينَ ...

أحمد: هيا بنا نبتعد عن هذا المكان ... وحاذِرُوا من إصدار أيِّ صوت.

وواصَلُوا سيرهم في سكون وحذر، دون إصدار أيِّ صوت، وحتى النسناس الصغير فوق كتف «إلهام» كفَّ عن إصدار أيِّ صوت، وبدا عليه أنَّه يشاركهم توتُّرهم وقلقهم ... ومن فوق قمم بعض الأشجار القريبة صدرت بعض الأصوات الخفيفة، وتوقف «عثمان» قلقًا وهو يقول: إنَّها النسانيس الملعونة ... لا بد أنَّها ستهاجمنا مرة ثانية.

ولكن النسناس الصغير «صديق» قفز من فوق كتف «إلهام» وشرع يعدو هاربًا وهو يصرخ صرخات مفزعة مرعوبة، وهتف «أحمد»: إنَّها ليست نسانيس، وإلا ما فزع صديق وهرب ... تساءلت «زبيدة» بعينَينِ واسعتَينِ: وماذا يكون ذلك الشيء المختبئ وسط الأغصان وقمم الأشجار ...

وقبل أن يجيبها أحدٌ قفز من فوق قمم الأشجار حولهم ما يزيد على عشرة من سكان الغابة الأوائل، وقد صبغوا وجوههم بألوان حمراء وصفراء ... وكان الرجال يصوِّبون سهامهم نحو الشياطين والصَّدِيقَينِ في حصار كامل، وقد لمع في عيونهم غضب شديد ... وكان واضحًا أنَّ أيَّة مقاومة ستقابل بسيل من السهام المسمومة التي تقضي على حياة مَنْ تُصيبه في ظرف ثوانٍ قليلة بعد آلام لا تقاوم ...

اختطاف إلهام!

وقف الشياطين و«سالم» و«ممدوح» ساكِنِينَ، بينما سكان الغابة يوجِّهُون سهامهم المسمومة نحوهم، وهم ينظرون إليهم نظرات عدائية ... وظهر الرعب على وجه «ممدوح» وهمس لـ «أحمد»: ماذا ينتظرون ... لماذا لم يهاجموننا، ماذا ينتظرون؟!

ردَّ «أحمد» ببطء: لا أعرف بالضبط ماذا يريدون؟!

تفصَّد العرق على وجه «ممدوح» وزاد ذهوله ورعبه ... وصاح أحد الرجال بصوت غاضب وهو يشير بقوسه نحو الشياطين، وعلى الفور تصاعدَتْ صرخات وصياح الرجال في غضب وهم يشيرون إليهم بأيديهم. فقالت «إلهام»: إنَّهم يريدون منَّا أن نتحرك.

لوَّح الرجال بسهامهم نحو الشياطين والصَّدِيقَينِ، فقال «أحمد»: دعونا ننفِّذ ما يأمروننا به.

صاح «ممدوح» في رعب: ولكنهم سيقتلوننا لو ذهبنا معهم. رمقه «أحمد» بنظرة ناطقة ثم قال: وهم سيقتلوننا أيضًا إذا رفضنا إطاعة أوامرهم!

ممدوح: دعني أشرح لهم و...

ولم يكمل عبارته لأنَّه شاهد أحد الرجال يصوب قوسه في غضب نحوه. وقبل أن ينطق كان الرجل قد أطلق سهمه نحوه ... حدث الأمر بصورة مباغتة، ولكن «أحمد» كان يتوقع ما حدث، وقبل أن يصيب السهم «ممدوح» جذبه «أحمد» من ذراعه فطاش السهم ... وحدث ما هو متوقع، فعلى الفور أطلق بقية الرجال سهامهم مرة واحدة ... ولم يكن الشياطين بحاجة إلى تحذير، فقد ألقوا بأنفسهم فوق الأرض، وجذب «سالم» و«ممدوح» معه، واحتموا خلف أقرب الأشجار بجوارهم فطاشت السهام المصوبة عليهم، وقبل أن يطلق هؤلاء الرجال سهامهم مرة أخرى أخرج «عثمان» إحدى القنابل اليدوية لإلقائها

عليهم ولكن «أحمد» أمسك بيده قائلًا: لا يا «عثمان». إنَّهم يظنُّوننا من الأعداء ... ومن الهمجية أن نقابل سهامهم بقنابلنا.

وأخرج «أحمد» مسدسه وأطلق عدة طلقات في الهواء، وعلى الفور تفرق الرجال وأسرعوا يختبئون خلف بعض الأشجار وهم يطلقون سهامهم نحو الشياطين، ولكن السهام طاشت فاختفى الرجال وعاد الهدوء يسود المكان ... قال «سالم» لقد هربوا.

أحمد: لا أظنُّ ... إنهم يختبئون في مكان ما ... وهم ينتهزون أول فرصة لاقتناصنا مرة أخرى ...

ممدوح: وماذا نفعل؟

أحمد: لن نعطيهم الفرصة التي ينتظرونها!

قيس: هل سنظل في مكاننا مختبئين خلف الأشجار؟

ردَّ «أحمد»: لا ... فسوف يحلُّ الليل بعد قليل وسنصبح مكشوفِينَ ومُعرَّضِينَ للخطر. لا بد أن نتحرك للبحث عن مكان آمن للاحتماء به ... هيا بنا.

وسار «أحمد» في المقدمة شاهرًا مسدسه، وهتف «عثمان» في غضب: ألا توجد وسيلة للتفاهم مع هؤلاء الرجال؟!

وقبل أن يكمل «عثمان» عبارته أحسَّ بشيء يطبق على قدمه، ووجد نفسه يرتفع في الهواء بسرعة خارقة إلى قمم الأشجار ... وأدرك الشياطين على الفور ما حدث. لقد وطأت قدم «عثمان» إحدى الشِّراك الخداعية فالتفَّ أحد الحبال على قدمه ورفعه عاليًا إلى قمم الأشجار ... ومن أعلى الأشجار انقضَّ عدد من الرجال على «عثمان» وهم يمسكون بأسلحتهم ولمع الغضب في عينَيْ «أحمد» وصوَّب مسدسه نحو قمم الأشجار وأطلق أول طلقة، وعلى الفور تفرَّق الرجال وقفزوا من فوق الأشجار يصرخون صرخة مرعبة وأطلق «أحمد» طلقة ثانية وثالثة ... ودَبَّ الفزع بين الرجال فقفزوا مبتعِدِينَ ... وصاح «أحمد» في «عثمان»: اهبط بسرعة يا «عثمان» ...

وصرخَتْ «إلهام»: حاذِرْ يا «أحمد».

وعندما التفت «أحمد» فوجئ برجل يندفع نحوه يهاجمه بحَرْبَته، فتفادى «أحمد» الحَرْبة، وأمسك بالرجل، وبحركة كاراتيه بارعة ضربه ضربة قوية ألقَتْ به بعيدًا وهو يئنُّ، ثم راح يزحف مبتعِدًا ... ومن الأمام برز عدد من الرجال يهجمون برماحهم، وأطلق «أحمد» مسدسه لحماية رفاقه فتساقط عدد من الرجال، وفرغ مسدس «أحمد» فصاح في رفاقه: اختبئوا بسرعة.

ولكن «إلهام» و«زبيدة» و«قيس» اندفعوا نحو الرجال بأيديهم العارية وكان عدد الرجال كبيرًا ولكن الشياطين اندفعوا في معركة مصيرية ... وأخذت الأعداد تتزايد ... وبدا أنَّه لا أمل للشياطين، وجاء العون على غير انتظار، فقد استطاع «عثمان» تخليص نفسه من الحبل، ومن مكانه أدرك المأزق الذي يتعرض له الشياطين فأسرع قافزًا أسفل الشجرة قفزةً خطرة غير مبالٍ بما قد يتعرض له ... وما إن لامست قدما «عثمان» الأرض حتى أخرج إحدى قنابله وصاح في زملائه: ألقوا أنفسكم فوق الأرض.

وعلى الفور، ألقى الشياطين بأنفسهم فوق الأرض، في اللحظة التي ألقى فيها بالقنبلة اليدوية التي انفجرت بصوت مدوٍّ، وصرخ الرجل من الرعب واندفعوا يجرون كما لو كان قد أصابهم مسٌّ من الجنون، ونهض الشياطين وهم يبتسمون في سعادة ... وقال «عثمان» ضاحكًا: لقد أعطيناهم درسًا قاسيًا، وأعتقد أنَّهم لن يعترضوا طريقنا بعد الآن.

وتلفتت «زبيدة» حولها في فزع وهتفت: «إلهام» ... أين «إلهام»؟

وانتبهوا ذاهلِينَ. لم تكن «إلهام» معهم، وليس هناك أيُّ أثر لها ... وقال «أحمد» بصوت مصدوم: لقد اختُطِفَتْ ... اختَطَفَها الرجال أثناء هروبهم، وتلاقت أعين الشياطين في ذهول بالغ غير مصدِّقِينَ ...

في الأسر!

صاح «قيس» بغضب شديد: دعونا نتتبع هؤلاء الرجال ونخلِّص «إلهام» من أيديهم.

وكاد يندفع تجاه الأشجار الكثيفة، التي اختفى الرجال خلفها، فأمسكه «أحمد» من ذراعه قائلًا: وهل تظنُّ أننا سنلحق بهم ... إنهم يعرفون هذه الغابات كما يعرفون راحة يدهم، وسوف نعطيهم بذلك فرصة لاقتناصنا كلنا لو تتبعناهم.

قال «عثمان» ذاهلًا: وماذا سنفعل ... هل نترك «إلهام» لهم؟

أحمد: سننقذها طبعًا ... ولكن علينا أن نعرف مكان القبيلة أولًا، ونتسلل إليها في الليل فنفاجئهم وننقذ «إلهام».

قالت «زبيدة» بقلق شديد: وهل سيترك هؤلاء «إلهام» حيَّة حتى المساء إنهم يعتقدون أننا أعداء.

أحمد: فمن الواضح أنهم اختطفوا «إلهام» لإقامة بعض الطقوس الوثنية ... وهم عادةً لا يقومون بهذه الطقوس قبل منتصف الليل عندما يتوسط القمر كبد السماء.

تساءل «عثمان» بقلق: وكيف سنعثر على مكان القبيلة ... إننا نجهل كل شيء عن هذه الغابات ...

كان «عثمان» مُحِقًّا في تساؤله، كان من الضروري سرعة العثور على «إلهام» وإنقاذها قبل انتصاف الليل، خاصةً وقد بدأ الليل يهبط على المكان ... وفي تلك اللحظة وقعَتْ عينا «أحمد» على النسناس «صديق» ودقَّ الأمل في صدره، فأسرع إليه ورفعه من فوق الأرض، وكان النسناس يصرخ ويستغيث بصوت خفيض، كأنه يعاني من ألم فراق «إلهام»، أمسكَ «أحمد» بإحدى حراب الرمال وقربها من النسناس وهو يقول له: الشانتس ... المحاربون «إلهام».

نظر النسناس إلى «أحمد» بعينَين واسعتَين، كأنه يستفسر منه عما يقول، عاد «أحمد» يقول للنسناس بصبر وهو يرجو الله أن يوفقه في إيصال ما يريد للنسناس: الشانتس ... أريدك أن تأخذنا إلى هناك.

قفز النسناس من بين ذراعَيْ «أحمد» وظهر عليه الخوف وأخذ يتشقلب على الأرض ويصيح في رعب فقال «عثمان»: يبدو أنه فهم ما نريد ... ويخشى من الذهاب إلى هناك.

وتوقَّفَ النسناس عن الصياح والشقلبة لحظةً، وبدا عليه التفكير، ثم نظر إلى الشياطين كأنه يريد التأكد من غياب «إلهام»، وظهر عليه التردُّد، ثم أشار للشياطين أن يتبعوه ... صاحَتْ «زبيدة» من الفرحة، وأسرع الشياطين خلف النسناس ومعهم «سالم» و«ممدوح». وأخذ النسناس يعدو والباقون خلفه ... وبعد قليل حلَّ الليل تمامًا، وسادت العتمة المكان ... ولكن ذلك لم يوقف الشياطين فاندفعوا خلف «صديق» والأغصان تجرح وجوههم وأذرعتهم وهم لا يبالون ... و«صديق» يظهر لهم بين الحين والآخَر؛ ليرشدهم للطريق بصيحاته وصراخه ... وبعد وقت تكشَّفَتْ لهم على البُعد ساحةٌ واسعة خالية من الأشجار، أُقيمَ في وسطها ما يشبه المعسكر الكبير، في قلبه ما يزيد على عشرين كوخًا من البوص ... وفي المنتصف أُقيمَتْ نار هائلة من الأغصان المشتعلة، وحولها أخذ عشرون راقصًا من أفراد القبيلة الأشداء يرقصون في إيقاع صاخب ... على حين وقف المئات حول دائرة النار في أيديهم الرماح والأقواس ... ووقعت أعين الشياطين على «إلهام» مُقيَّدة، وأمامها ساحر القبيلة، وهو يتمتم بكلمات مُبهَمة غامضة، ويضرب الأرض بقدمَيْه، ويدور حول «إلهام» وهو يصرخ صرخات مخيفة، أخافت النسناس «صديق» فقفز فوق كتف «أحمد» وانكمش في رعب ...

هتف «أحمد» في راحة: الحمد لله ... إنهم لم يبدءوا طقوسهم بعدُ.

قال «عثمان» في غضب: ماذا تنتظرون ... هيا بنا ننقذ «إلهام».

أمسك «أحمد» عثمان من ذراعه قائلًا: انتظر يا «عثمان» ... إنهم بالمئات، وهجومنا عليهم هو عملية انتحارية لنا ... من الأفضل أن ننتظر حتى منتصف الليل حين يكون التعب قد حلَّ بهم، فنهجم عليهم على حين غرة، وننقذ «إلهام» ونسارع بالهرب ...

صمتَ «عثمان» ... ووقف الجميع في مخبئهم يشاهدون الطقوس التي يقوم بها أهل القبيلة ... وأخذ ساحر القبيلة العجوز يواصل رقصه المحموم حول «إلهام»، وقد ارتدى قناعًا فوق وجهه على شكل نمر وهو يصرخ بكلمات عالية ... ووصلت بعض الكلمات إلى آذان الشياطين فقال «قيس» ذاهلًا: إنَّ هذا الساحر يعرف بعض الكلمات الإنجليزية ... هذا مذهل.

أحمد: لا بد أنَّه تعلمها من المستعمرين، وهو يستخدمها أمام أهل القبيلة لإبهارهم ...

وتحرَّكَ القمر في السماء وبدأ يقترب من منتصفها، وهمس «أحمد»: لقد حانت اللحظة.

والتفتَ إلى رفاقه قائلًا: سنهجم جميعًا عليهم، وسوف تُلقي يا «عثمان» قنبلتك الباقية وسط الساحة بعيدًا عن «إلهام» لإخافتهم، وسنسرع لحل قيود «إلهام» والهرب بها قبل أن يفيقوا من المباغتة.

هزَّ الباقون رءوسهم بـ «نعم»، وأخرج الساحر من حزامه آلة عجيبة راح يُقرِّبها من «إلهام» وهو ينظر لها نظرات عنيفة، لكن فجأةً طارت «بطة»، كرة «عثمان»، لتصطدم به، فصرخ الساحر في رعب وألم وهو يهتف بالإنجليزية: الشيطان ... الشيطان!

وعلى الفور، اندفع الشياطين الأربعة و«سالم» و«ممدوح» صارخِينَ بكل قوتهم، وبُوغِتَ رجال القبيلة بالهجوم المفاجئ، وألقى «عثمان» قنبلته في وسط الساحة فدوَّى انفجارها عاليًا ... وصرخ الرجال في رعب، وتفرقوا في كل اتجاه ... بينما أسرع الشياطين نحو «إلهام» التي لم تصدق ما حدث، وحلَّ «أحمد» وثاقها بسرعة وصاح في الباقِينَ: هيا بنا.

ولكن، وقبل أن يبادروا بالفرار، تنبَّه الرجال إلى ما يحدث، واندفعوا بالعشرات يسدون الطريق على الشياطين و«سالم» و«ممدوح» وهم يصوِّبون سهامهم نحوهم، على حين لم يكن مع الشياطين أيُّ سلاح أمام السهام والحراب المسمومة.

وظهر جليًّا للشياطين أنَّ النهاية قد حانت ... وأنَّ المقاومة في مثل هذا الموقف لا جدوى منها ... وأنَّهم بدلًا من إنقاذ «إلهام» صاروا جميعًا أسرى لقبيلة «الشانتس» وضحايا لما تركه الاستعمار من أثر سيئ في نفوس هؤلاء البسطاء!

من مأزق ... إلى مأزق!

بدأت حلقة الرجال تضيق حول الشياطين أكثر فأكثر، ونهض الساحر وهو يترنح من أثر إصابة كرة «عثمان»، وعلى الفور اندفع «أحمد» نحو الساحر وقيده من الخلف وصاح في الرجال: إذا تحركتم خطوة واحدة فسوف أقتله.

توقف زحف الرجال في فزع خشية على ساحر القبيلة، وظهر عليهم الغضب الشديد لما فعله «أحمد» بالساحر، وهمس «أحمد» للساحر بصوت رهيب أُؤْمُرهم أن يفسحوا لنا الطريق ويدعونا نمر بسلام وإلا قتلناك.

كان الرعب في عينَيِ الساحر، وصاح في القبيلة بكلمات غريبة، وعلى الفور تراجع الرجال وأسقطوا سهامهم ونبالهم وحرابهم من أيدِيهم، وأفسحوا طريقًا يؤدِّي إلى قلب الغابة.

هتف «أحمد» في رفاقه قائلًا: هيا بنا.

أسرع كلٌّ من الشياطين يتسلَّح بنبلة وعدد من السهام، وكذلك فعل «سالم» «وممدوح»، أمَّا «أحمد» فظل قابضًا على الساحر ودفعه للأمام قائلًا: هيا سِرْ معي.

وساروا جميعًا يغادرون الساحة والرجال يراقبونهم في صمت وقلق، وسألت «زبيدة» «أحمد»: هل سنأخذ هذا الساحر معنا؟

قال «أحمد» وهو يشدِّد قبضته عليه: هذه هي الطريقة الوحيدة لنأمن شرَّ هجوم رجال قبيلته علينا، فهم لن يجرءوا على إيذائنا طالما أنَّ الساحر في قبضتنا، وسيظلون يراقبوننا عن بُعد إلى أن نطلق سراحه، فيهاجموننا على الفور.

عثمان: وماذا سنفعل بهذا الساحر؟

قال «أحمد» وعيناه تلمعان: سوف يقودنا إلى الطريق خارج هذه الغابات.

شهق الشياطين بدهشة للفكرة المذهلة، وأكمل «أحمد»: لا أحد يعرف هذه الغابات كما يعرفها سكانها، وهذا الساحر لا بد وأنَّه يعرف طريق الخروج من هذه الغابات، وسوف نعود به إلى مكان سياراتنا الثلاث حتى يدلنا على طريق الخروج من الغابات فنواصل السباق.

قال «سالم» في قلق: وهل تظنُّ أنَّ الساحر سيطيعنا؟

– بالطبع سيفعل؛ لأنَّه يخشى على نفسه منَّا.

واخترقَتِ المجموعة الغابات مرة أخرى، وأحضر كلٌّ من الشياطين ثمرة جوز هند خضراء، قسموها إلى نصفَينِ، وأشعلوا في جوفها الطريِّ النارَ، فانطلقَتْ منها شعلة لطيفة، كأنَّها قبَس من نور، بدَّدَتِ الظلمة الحالكة حولهم … وأقبل النسناس «صديق»، فقفز إلى كتف «إلهام» وهو يصيح في ابتهاج … وقال «أحمد»: لا وقت لدينا للراحة، وعلينا الوصول إلى مكان سياراتنا قبل أن يفكِّر رجال القبيلة في طريقة لتخليص ساحرهم منا.

والتفتَ إلى الساحر قائلًا: سوف تطيعنا وتسير معنا، أليس كذلك؟!

أومأ الساحر برأسه في خوف، وقيَّدَتْه «إلهام» وساروا جميعًا عائدِينَ إلى مكانهم الأول، ترشدهم علاماتهم التي صنعوها في الأشجار، وتنير لهم شعلات جوز الهند الطريق … قال «عثمان» ضاحكًا: يا لها من فكرة … كيف لم تخطر ببالنا من قبلُ لمغادرة هذه الغابات؟!

واستمروا في سيرهم وهم يحسُّون بخطوات عديدة تتبعهم عن بُعد، ولا تجرؤ على الدنو منهم …

وما إن أشرقت شمس اليوم التالي حتى كانوا قد وصلوا إلى مكان سياراتهم.

أخرج «عثمان» أحد المسدسات من سيارة الشياطين، صوَّبه نحو الساحر الذي صرخ في هلع وظهر الرعب على وجهه، وأخذ يتضرع لهم قائلًا: لا تقتلوني … إنَّني ساحر مسكين ضعيف … أرجوكم لا تقتلوني.

أجابه «أحمد»: هناك وسيلة واحدة لنُبقي على حياتك … وهي أن تستقل معنا السيارات لتُرشدنا إلى طريق الخروج من هذه الغابات.

هتف الساحر: سأفعل … سأفعل.

– إذن، هيا بنا.

واستقلَّ «أحمد» و«عثمان» ومعهما الساحر سيارة الشياطين، بينما استقلت المجموعة الثانية، «إلهام» و«قيس» و«زبيدة» السيارة الكبيرة، و«سالم» و«ممدوح» سيارة السباق

... وانطلقت السيارات الثلاث ترشدها تعليمات الساحر ... وبعد ساعات قليلة، ظهرت لهم نهاية الغابات والطريق العام.

صاحت «إلهام» غير مصدقة: لقد غادرنا الغابات ... غادرناها.

واحتضنَتْ «إلهام» «زبيدة» بفرحٍ طاغٍ، وقال «أحمد» للساحر باسمًا: لقد وفيتَ بوعدك ... ونحن سوف نفي بوعدنا ... تستطيع الآن أن تغادر السيارة.

لم يصدق الساحر أذنَيْه، وقفز خارج السيارة وانطلق يعدو إلى الغابات في سرعة، وعلى الفور ظهر عشرات ومئات من رجال القبيلة المختبِئِينَ، وأحاطوا به، وأخذوا يصيحون في فرح. وانطلق الشياطين والفريق العربي في طريق السباق بأقصى سرعتهم ... وبدأ القلق والتوتُّر على النسناس «صديق» وسيارة «إلهام» توشك أن تغادر الغابات، وأخذ يعوي ويصيح بصوت متألم، وتأملته «زبيدة» بإشفاق وقالت لـ «إلهام»: إنَّ «صديق» حزين ولا يريد مفارقة الغابة التي ولد وتربى فيها.

نظرَتْ «إلهام» إلى النسناس بحزن، وقالت: سيصعب عليَّ فراقه؛ فقد تسبب في إنقاذ حياتي مرتَينِ ... ولكن يبدو أنَّه لا مفرَّ من تَرْكه في المكان الذي يحبه.

وفتحَتْ له النافذة، فقفز «صديق» خارجها، وتعلَّق بأقرب غصن شجرة، وأخذ يصيح في مرح، على حين انطلقت سيارة «إلهام» بعيدًا، وقالت «زبيدة» ضاحكةً: ربما تقودنا إحدى المغامرات إلى هذه الغابات يومًا ما ... عندئذٍ سيكون لدينا «صديق»، يمدُّ لنا يد المساعدة ... فأحيانًا يكون الوفاء لدى الحيوان أكثر منه عند الإنسان.

ومرَّ بعض الوقت في صمت ... وتساءلَتْ «إلهام» بقلقٍ: هل تظنُّون أنَّنا سنتعرض للهجوم مرة أخرى؟

زبيدة: أظنُّ ذلك ... فلا بد أنَّ أعداءنا سيرصدون خروجنا من الغابات بعد أن قضينا بها يومَينِ، وسوف يبادرون بالهجوم علينا ... وإن كنتُ أظنُّ أنَّ الهجوم هذه المرة سيكون هو الهجوم الأخير.

قال «قيس» في غضب: ونحن مستعِدُّون لهذا الهجوم ... وسوف نعطيهم درسًا قاسيًا.

زبيدة: ولكن كيف ستكون وسيلتهم في الهجوم هذه المرة.

إلهام: مَن يدري؟ إنَّهم يفاجئوننا كل مرة بسلاح جديد يهاجموننا به ... علينا أن ننتظر ونرى.

واستمرَّ الشياطين ورفيقاهما في الانطلاق وقتًا بدون أن يقطع عليهم الطريق أيُّ عائق ... ومرَّت خمسة أيام بلا أيِّ مشاكل، والفريقان يزيدان من سرعتهما ويقلِّلان من ساعات الراحة بقدر ما يستطيعان، حتى استطاعا اللحاق بآخِر السيارات المتسابقة.

وقال «عثمان» بابتهاج: لقد أوشكنا على الوصول إلى نقطة النهاية في هذا السباق ... إنَّ عدد السيارات التي استمرت حتى النهاية لا تزيد على سبع سيارات متسابقة.

أحمد: هل تفكر في الفوز بالسباق؟

– لِمَ لا؟ لقد لاقينا من المشقة والصعاب ما لم تصادفه أيَّة سيارة من سيارات المتسابِقِينَ الآخَرِين.

– ولكن أليس من الغريب أنَّ أعداءنا لم يحاولوا الهجوم علينا مرة أخرى؟

– لعلهم لم ينتبهوا إلى نجاتنا من الأحراش، واستطاعتنا مغادرتها.

– أتظنُّ ذلك؟

قالها «أحمد» وهو يفكر بشدَّة، تُرى هل اعتقد مهاجمونا بضياعنا في الغابات الأمازونية واستحالة خروجنا أحياءً منها، فلَمْ يبذلوا جهدًا لمعرفة ما إذا كنا قد نجونا منها أم لا؟

وقال «عثمان» لـ «أحمد» متسائلًا: فيمَ تفكر؟

أحمد: لو لم نصادف أعداءنا المجهولِينَ فسأعتبر أنَّ مهمتنا قد فشلت.

– لماذا يا «أحمد»؟

– إنَّ هناك اعتبارَينِ ... اعتبار عام، وهو أن نلقِّنَ هؤلاء الإرهابيِّينَ درسًا لن ينسوه بسبب تخطيطهم لقتل «سالم»، وحتى نعلمهم أنَّ القوة العربية لا يُستهان بها، وهي قادرة على التصدي لَمَن يحاول إيذاءها أو العبث بها ... أمَّا الاعتبار الآخَر فهو اعتبار شخصيٌّ ... يخصُّ الشياطين.

أومأ «عثمان» برأسه موافقًا وهو يقول: معك حق يا «أحمد» ... لقد كابدنا المشاق الصعبة في هذه الغابات الرهيبة، وصار لهؤلاء الإرهابيِّينَ في عنقنا دَيْنًا لا بد وأن نسدِّدَه لهم ... إنَّني أتحرق شوقًا لمقابلتهم، وجَعْلهم يذوقون طعم «بطة».

أحمد: أظنُّ أنَّ «بطة» لن تُجدي معهم.

وساد الصمت مرةً ثانيةً، والسيارة تشق طريقها في الطريق الرملي الجبلي، وخلفها سيارة الفريق العربي وسيارة الشياطين الثانية، وعلى البُعد ظهرت عدة سيارات للسباق، وهي تجاهد لتَخَطِّي بعضها، مثيرةً خلفَها عاصفة من الرمال.

وقال «عثمان» بتوتر: إنَّني أحسُّ أنَّ الخطر يدنو منا.

تلفت «أحمد» حوله وهو يقول: ولكنَّني لا أشاهد شيئًا عدا السيارات المتسابقة خلفنا.

عثمان: لا أدري ... إنَّ إحساسي يتزايد، وأعتقد أنَّه لن يمر وقت طويل حتى نكون قد واجهنا الهجوم الأخير.

– ونحن مستعدون لهذا الهجوم ...

وضغط فوق دواسة بنزين السيارة، فانطلقَتْ تزأر فوق الرمال، مثيرةً خلفها عاصفة من الرمال ومن الخلف، وعلى مسافة قريبة كانت سيارة «سالم» تتبع سيارة الشياطين، وخلفها سيارة «إلهام» «وزبيدة» «وقيس» المعاونة.

واتصلت «إلهام» بسيارة الشياطين لاسلكيًّا؛ لتطمئن عليهم، فجاءت الإجابة مطمئنة.

وضغطَتْ «إلهام» على أزرار لوحة إلكترونية في سيارتها حتى تعرف الطريق والمسافة الباقية للوصول إلى العاصمة «ليما» ... كانت هناك مسافة لا تقلُّ عن ألف كيلومتر للوصل إلى نقطة السباق النهائية.

زبيدة: لم يتبقَّ الكثير ... سنصل إلى النهاية خلال أربع ساعات على الأكثر ... لقد أوشكنا على دخول حدود «بيرو».

إلهام: سوف يضيِّع ذلك منَّا فرصة ثمينة للفوز بهذا السباق.

التفتت «زبيدة» إلى «إلهام» متسائلة: ماذا تقصدين يا «إلهام»؟

– إنَّ فوزنا الحقيقي هو في نسف هؤلاء الإرهابيِّينَ المجهولِينَ، وليس في إتمام السباق.

– معكِ حق، وإن كان لا يبدو لهم أيُّ أثر حولنا.

وبدأت السماء تغرب في الأفق الدامي أمامهم، ويوشك الليل على الحلول ... ومن بعيد وعلى آخِر أضواء النهار الغارب، شاهد الشياطين عددًا من المتاريس أمامهم تسدُّ الطريق لمسافة طويلة ... وعددًا من الجنود، وسيارات الجيب تقطع الطريق ... وكانت هناك لوحة كبيرة كُتب عليها بالإسبانية: «حرس الحدود».

توقفَتْ سيارة الشياطين والسيارتان الأخريان، وموتوراتها تزأر بشدة، كأنَّها حيوانات متوحشة حبيسة لا تطيق الانتظار ... تقدم أحد الضباط باسمًا وفي يده كشَّاف قوي وهو يقول: مرحبًا بكم في «بيرو» ... سوف نتأكد من أرقام سياراتكم، ثم نسمح لكم بالمرور فورًا ... فإنَّ هناك بعضًا من تجار المخدرات جاءتنا معلومات أنَّهم سيحاولون تهريب بضاعتهم إلى داخل بلادنا متظاهرين بأنَّهم من المتسابقين.

وأومأ برأسه إلى عدد من جنوده فاندفعوا شاهِرِينَ مدافعهم الرشاشة، وقال لهم الضابط: فتِّشوا جميع السيارات.

نظر «أحمد» إلى «عثمان» بقلق، وهمسَ «عثمان»: سوف يكون موقفنا حرجًا عند تفتيش سيارة «إلهام» «وزبيدة» فلا بد أنَّهم سيكتشفون أسلحتنا المخبأة فيها.

أحمد: دعنا لا نسبق الحوادث ولننتظر ما سيحدث.

ولم يكن بسيارة «أحمد» «وعثمان» مخبأ يمكن إخفاء مخدرات به ... ولا في سيارة الفريق العربي الذي انتهى تفتيشها سريعًا ... واتجه الجنود إلى السيارة الثالثة الكبيرة، وتعلَّقَتْ أبصار الشياطين بالسيارة في قلق وتوتُّر شديدَينِ وهم يتساءلون، تُرى هل سيكتشف الجنود الأسلحة أم لا؟

وكان ذلك مأزقًا لم يضعوه في حسبانهم أبدًا.

الخدعة الكبرى!

امتدَّتْ أيدي الحراس تفتِّش وتنقِّب في سيارة الشياطين الثانية، وأمسك أحدهم بصندوق قنابل يدوية مُقفَل، وهتف متسائلًا: ما هذا؟! افتحوا هذا الصندوق! وتلاقت نظرات الشياطين في قلق ... وأشار الضابط بإصبعه قائلًا: ماذا تنتظرون ... افتحوا هذا الصندوق.

تقدَّم «قيس» من الضابط قائلًا في احتجاج: هذه ليست معاملة حسنة ... ثم إنَّه لا وقت لدينا لإضاعته معكم، فنحن نريد أن ننهي السباق ...

قاطعه الضابط ببرود قائلًا بالألمانية: افتحوا الصندوق أو سنُضطَّر إلى اعتقالكم جميعًا. كان الموقف دقيقًا ... ولم يكن هناك مفرٌّ من إطاعة أمر الضابط، خاصة وقد كان هناك ما يقرب من خمسِينَ جنديًّا قد وقفوا متأهِّبِينَ مُصوِّبِينَ رشاشاتهم نحو الشياطين ... وتلاقت أبصار الشياطين وتفاهموا على خطة موحدة ... وأمسك «قيس» بصندوق القنابل اليدوية وأخرجه من السيارة وسار به حتى وضعه أمام الضابط، وتراجع إلى الخلف وهو يقول: تستطيعون أن تفتحوه بأنفسكم ... ستجدون به بعض المُعلَّبات والأطعمة الفاخرة فهنيئًا لكم بها.

أومأ الضابط برأسه لأحد جنوده فأحضر الجندي عتلة حديدية، وأخذ يحطِّم بها قفل الصندوق، وما كاد غطاؤه ينكشف حتى صاح الجندي مبهورًا: إنَّها قنابل يا سيدي.

صاح الضابط في جنوده: اقبضوا عليهم.

ولكن قبل أن يتحرك أحد الجنود صوب «أحمد» مسدسه إلى الصندوق وأطلقه قبل أن يلقى بنفسه فوق الأرض، ويتبعه باقي الشياطين و«سالم» و«ممدوح»، ودوَّى انفجار الصندوق هائلًا، أطاح بالضابط وعدد من الجنود وحطَّم المتاريس، واندفع الشياطين إلى داخل سيارتهم وخلفهم «سالم» و«ممدوح» إلى سيارتهما أيضًا.

ودارت محركات السيارات الثلاثة، في اللحظة التي اندفع فيها بقية الجنود نحو السيارات الثلاث، وهم يطلقون رصاصهم ... واستدار أحمد بسيارته، وأخذ يطلق مدفعه الرشاش حتى يتفرق الجنود ... واندفع بالسيارة يشقُّ الطريق بسرعة هادرة، وخلفه سيارة «سالم» وسيارة بقية الشياطين ... ومن الخلف انطلقت وراءهم خمس سيارات جيب مليئة بالجنود المسلَّحِينَ ... وهكذا بدأت المطاردة في الصحراء ... أطفأت السيارات الثلاث مصابيحها الأمامية والخلفية، وانطلقت تشقُّ عتمة الظلام بقوة، ومن الخلف انطلقَتِ السيارات الجيب الخمسة، وهي تطلق رصاصها بدون أن تصيب سيارات الشياطين.

وتساءلت «زبيدة» بقلق: «إلهام» ... لماذا تصرَّف «أحمد» على هذا النحو ... لم يكن هناك أي داعٍ للدخول في معركة مع حرس الحدود.

إلهام: إنَّهم ليسوا حرسًا للحدود.

– ماذا تقصدين ... وكيف عرفتِ؟

– كان هذا واضحًا عندما نطق قائدهم بالألمانية يطلب منا فتح الصندوق ... إنَّ سكان هذه البلاد لا يعرفون الألمانية، ولغتهم الثانية إمَّا الفرنسية أو الإنجليزية ... وعلى ذلك فإنَّ هذا الضابط المزعوم لا بد وأن يكون واحدًا من الإرهابيِّينَ الذين يطاردوننا.

تألَّقَتْ عينا «زبيدة» وهي تقول: معكِ حق ... لقد نال ما يستحق.

إلهام: ولكن هناك خمس سيارات جيب لا تزال تطاردنا.

زبيدة: وماذا يستطيعون أن يفعلوا ... إنَّهم لا يملكون سوى مدافعهم الرشاشة وسياراتنا مُحصَّنة ضد الرصاص.

إلهام: لا أظنُّ أنَّهم سيكتفون بإطلاق الرصاص فقط ... ولم تَكَدْ «إلهام» تنطق عبارتها حتى دوَّى صوت انفجار هائل على يمين سيارتهم، وتأرجحت السيارة، وأبطأت في سيرها وهي تهتز بشدة ...

هتف «قيس» في غضب: لقد أطلقوا علينا قنابلهم؛ فأصابوا أحد الإطارات.

قالت «زبيدة» في قلق: لن يمكننا مواصلة السير طويلًا بعجلة معطوبة ... سيلحقون بنا.

إلهام: سأخبر «أحمد» و«عثمان» بما جرى.

وشرعت تنقل رسالة إلى الشيطانَينِ بما جرى لسيارتهم ... وقبل أن تبدأ الرسالة، دوَّى انفجار آخَر شديد، ومالت السيارة على جانبها، وصاح «قيس»: اقفزا من السيارة.

وقفز «قيس» من السيارة المندفعة بشدة، وقفزت «إلهام» و«زبيدة» خلفه، وانقلبت السيارة عدة مرات، ثم انفجرت بصوت مُدَوٍّ، وتحوَّلَتْ إلى كتلة من اللهب والشظايا.

تدحرجت «إلهام» و«زبيدة» و«قيس» فوق الرمال وهم يلهثون، فلو كان قفزهم قد تأخر ثانية واحدة لتحوَّلوا إلى كتلة من اللهب داخل السيارة بذخيرتها الحيَّة ... هتفَتْ «زبيدة» بغضب شديد: لقد ضاعَتْ منا كل ذخيرتنا ... إنَّ هذا يضعنا في موقف حرج جدًّا.

وتلفَّتَتْ «إلهام» حولها في قلق متسائلة: أين سيارة «أحمد» و«سالم»؟ لقد اختفتا.

قال «قيس» بقلق شديد: ربما لم ينتبهوا لما حدث لنا واستمروا في سيرهم.

زبيدة: ولكننا بلا أيِّ سلاح ... وسوف يصل الإرهابيون إلينا في الحال.

وعلى مسافة قريبة، لمَعَتْ كشَّافات سيارات الجيب وهي تهدر نحوهم، وقد كشفت بضوئها مساحة كبيرة حولهم ...

وهتف «قيس» في زميلتَيْهِ: دعونا نحتمي خلف أي شيء.

وانطلق يعدو، وخلفه «إلهام» و«زبيدة»، والرصاص يلاحقهم كالمطر ... وتدحرج الثلاثة بسرعة، ثم احتموا خلف إحدى الصخور العالية ... ووقف ثلاثتهم وهم يلهثون، وقالت «إلهام» وأنفاسها تتصاعد وتهبط بشدة: لن يمضي وقت طويل قبل أن يصلوا إلينا ... وسوف يكون موقفنا سيِّئًا جدًّا، ونحن بلا سلاح.

هتفَتْ «زبيدة» بغضب شديد: سوف أقاتلهم بأظافري.

واقتربَتِ السيارات الجيب من مكانهم ... وأخذت تدور وهي تُطلق كشَّافاتها في المكان، وانكمش الشياطين الثلاثة في مكانهم ... وفجأةً سقط ضوء قوي عليهم، وصاح صوت يقول: ها هم.

واتبع ذلك الصوت سيل من الرصاص انطلق نحو الشياطين الثلاثة المحاصَرِينَ في الفخ الطبيعي بين الصخور.

الشياطين فقط!

ألقى الشياطين الثلاثة بأنفسهم فوق الأرض الصخرية، وزحفوا مبتعِدِينَ، وكانوا يدركون أن موقفهم سيِّئٌ جدًّا، وأنَّهم لن يتمكنوا من الهرب طويلًا، خاصة ولا أثر لسيارة الشياطين الأخرى.

وفجأةً صرخ «قيس» صرخة مكتومة، وأمسك بذراعه متألِّمًا محاولًا كَبْت آلامه، والتفتَتْ إليه «زبيدة» و«إلهام» في قلق وتساؤل، فقال وهو يضغط على أسنانه: لقد أصابتني رصاصة في ذراعي.

غَمْغَمَتْ «إلهام» قائلة في غضب: هؤلاء الجبناء ... دَعْني أحاول ربط ذراعك وإيقاف النزيف.

قيس: لا يا «إلهام» ... إنَّ أيَّة حركة سوف تكشفنا ... دعوني هنا وحدي وحاوِلا الهرب.

إلهام: ماذا تقول يا «قيس» ... وهل نتركك ونبتعد؟ هذا مستحيل.

وقالت «زبيدة» في تصميم: إنَّها معركتنا ... وعلينا أن نخوضها بأيدينا العارية.

إلهام: معكِ حق ... إنَّ الشياطين لا تعرف اليأس أبدًا، ولو كانت تواجه جحيم العالم كله.

ووقفَتِ الاثنتان لتظهرا في دائرة الضوء لحظة ... وقبل أن ينهال الرصاص عليهما مرة أخرى قفزَتِ الاثنتان قفزةً عالية في الهواء، وهما ممسكتان بأيدي بعضهما ... وجاءت سقطتهما فوق أقرب سيارات الجيب التي تحاصرهما ... وفوجئ الجنود المسلَّحِينَ في السيارة بالصاعقة الثانية التي سقطت عليهم من الظلام ... وبضربتَينِ هائلتَينِ أطاحت «إلهام» و«زبيدة» باثنَينِ من ركاب السيارة ... وقبل أن يشرع الباقون في الهجوم عليهما انطلقت قبضتا الشيطانتَينِ نحو اثنين آخَرَينِ من الجنود، واختطفت «إلهام» و«زبيدة» أسلحتهما، وأدارتا السيارة الجيب، وصارتا في مواجهة بقية السيارات المهاجمة.

وصاحت «إلهام» في «زبيدة»: قودي أنتِ السيارة، وسأتكفل أنا بإبادة هؤلاء المجرِمِينَ.

واندفعت «زبيدة» بالجيب كالسهم، وانطلق من مدفع «إلهام» سيل متواصل من الرصاص ... وتعالت الصرخات من الرجال الذين فوجئوا بالهجوم المباغت ... وانفجرت إحدى السيارات ... ثم أخرى ... وقفز بقية الإرهابيِّينَ من سياراتهم، وانطلقوا هارِبِينَ فوق الرمال ... ومن الأمام واجههم «قيس» بمدفع رشاش استولى عليه من أحد الإرهابيِّينَ وأخذ يحصدهم.

ولم يمضِ وقت طويل حتى كان المكان قد عاد إلى سكونه، وامتلأ بالإرهابيِّينَ المصابِينَ، وأوقفَتْ «زبيدة» السيارة، وابتسمت وهي تمسح قطرات العرق الملتمعة فوق جبهتها قائلةً: لقد أدَّيْنا عملًا طيِّبًا.

وتهالك «قيس» فوق السيارة الجيب، وذراعه لا تزال تنزف، وأسرعت «إلهام» نحوه، وأخرجت منديلها وربطت به ذراع «قيس»، وتمدَّد «قيس» في مقعد السيارة الخلفي متألِّمًا، وقالت «إلهام»: علينا أن نحاول الوصول إلى «ليما» بأسرع ما يمكن؛ لعلاج «قيس».

زبيدة: وعلينا العثور على سيارة الشياطين والفريق العربي ... إنَّني قلقة بشأنهما.

– معكِ حق ... إنَّ عدم مجيئهم لنجدتنا يسبب لي قلقًا شديدًا ... لا بد أنَّهم في مأزق.

– هيا بنا؛ فلا وقت لإضاعته.

وتسلَّحت الاثنتان بمدفعَينِ رشَّاشَينِ، وانطلقت «زبيدة» بالسيارة بسرعة، وقد أنارت كشافاتها محاولةً العثور على سيارة الشياطين وسيارة «سالم».

وفجأةً، صرخَتْ «إلهام» برعب: حاذِري يا «زبيدة» وضغطَتْ «زبيدة» فوق فرامل السيارة بأقصى ما تستطيع من قوة ... وزأرَتْ عجلات السيارة بشدة فوق الرمال، وتوقَّفَتْ على بُعد سنتيمترات قليلة من هاوية مظلمة كادت تسقط السيارة فيها ... ولم تصدِّق «زبيدة» عينَيْها وهي تحدِّق في الهاوية الرهيبة التي تمتد بأسفل إلى ما لا نهاية.

والتفتَتْ «زبيدة» إلى «إلهام» بذعرٍ هاتفةً: «إلهام» ... هل يمكن أن ... (ولم تستطع «زبيدة» إكمال عبارتها لشدة فزعها) ... ونظرت إليها «إلهام» بفزع أشد، تُرى هل سقطت سيارة الشياطين في الهاوية بسبب الظلام كما كاد يحدث لسيارتنا؟

وانفجرت «زبيدة» باكيةً بشدة ... وذهلت «إلهام» وصرخت: مستحيل ... مستحيل.

ومن أسفل، وصلَتْ إلى آذانهما أصوات خافتة تأتي من الهاوية ... ونظرَتْ «إلهام» و«زبيدة» لبعضهما غير مصدِّقَتَينِ، «زبيدة»: إنَّني أسمع صوتًا يأتي من أسفل.

وأسرعت تُحضر بطارية، راحَتْ تحرِّك ضوءها لأسفل ... وعلى مسافة لا تقل عن ثلاثين مترًا شاهدت شجرة ناتئة بين الصخور المنحدرة، وقد تعلَّق بها شبحان يجاهدان

لحفظ توازنهما حتى لا يسقطا في الهاوية، صرخت «إلهام» من شدة فرحها ... كان الشيطانان «أحمد» و«عثمان» متعلِّقان بالشجرة ... وكان يستحيل عليهما تسلُّق الصخور الحادة كالأمواس للصعود لأعلى، وصاح «أحمد» من أسفل: «إلهام» ... «زبيدة» ... أسرعا بإحضار أي شيء لإنقاذنا؛ فالشجرة لم تَعُدْ تحتمل ثقلنا وستسقط بنا.

أصاب الرعب «إلهام» و«زبيدة» ... واندفعتا كالمجنونتَينِ تبحثان عن أي شيء تلقياه إلى الشيطانَينِ لإنقاذهما ... ووقع بصرهما على حبل طويل في مؤخرة السيارة، فأسرعتا بربط مقدمته إلى السيارة الجيب، ثم أسقطاه نحو الشجرة ... ولكن الحبل كان يبعد عن أيدي «أحمد» و«عثمان» بمسافة متر ...

وصاحت «إلهام» حاول يا «أحمد» ... حاول يا «عثمان» الوصول إلى الحبل.

ومن أسفل، سمعت «زبيدة» و«إلهام» صوت فرقعة، أعقبه انهيار، وصرخت «إلهام» في فزع: إنَّ الشجرة تسقط وتنهار ... وفي لحظة واحدة قفز «عثمان» و«أحمد» قفزةً واحدة، ليتعلَّق «أحمد» بالحبل، ويتعلَّق «عثمان» بساقَيْ «أحمد».

ولم تصدِّق «إلهام» و«زبيدة» ما حدث ... واندفعتا تديران السيارة إلى الوراء ببطء، وهما تسحبان الحبل للخلف ... وأخيرًا ظهر «أحمد» و«عثمان»، وقفزا إلى السطح ... واندفعت «إلهام» و«زبيدة» والدموع في عينَيْهما لشدة سعادتهما.

قال «أحمد»: لقد جئتما في اللحظة المناسبة.

تساءلَتْ «إلهام» في لهفة: ماذا حدث لكما؟

أحمد: كنا نسير مبتعِدَينِ، وسيارة «سالم» خلفنا ... وفجأةً انتبهتُ إلى الهاوية، فصرختُ في «سالم» أن يحاذر، فانحرف بسيارته في آخِر لحظة، أمَّا نحن فلم نستطع إيقاف سيارتنا، فسقطَتْ في الهاوية، وقفزنا منها أنا و«عثمان» في اللحظة المناسبة، وتعلَّقْنا بالشجرة.

وتطلَّعَ إلى «إلهام» بقلق، وسألها: وأنتم ماذا حدث لكم؟

قصَّت «إلهام» على «أحمد» ما صادفهم مع الإرهابيِّينَ، وكيف تغلبوا عليهم، فقال «أحمد» بإعجاب: يا لكما من بطلتَينِ!

قالت «زبيدة» بقلق: إنَّ «قيس» مصاب في سيارتنا ... وعلينا إسعافه بسرعة.

ألقى «أحمد» نظرة إلى «قيس» فوجده غارقًا في النوم في مقعده، فقال باسمًا: يبدو أنَّه نائم منذ وقت، ثم انتبه بشدة والتفتَ حوله متسائلًا: أين «سالم» و«ممدوح»؟

زبيدة: لا ندري ... إنَّنا لم نرهما منذ وصلنا.

– دعونا نبحث عنهما.

وانطلق الأربعة يبحثون عن سيارة الفريق العربي، ووجدوها على مسافة، وقد اصطدمت بصخرة حادة وارتطم «سالم» و«ممدوح» بمقدمة السيارة، فغابا عن الوعي، واستطاع الشياطين إفاقة «سالم» و«ممدوح» اللذين لم يصدقا بنجاة «أحمد» و«عثمان»، وقال «سالم» مبهورًا: هذا مذهل ... لقد شاهدنا سيارتكما وهي تهبط إلى الهاوية، فكيف استطعتما النجاة ... إنَّ هذا يبدو كما لو كان بفعل الشياطين.

غمز «أحمد» بعينه قائلًا: ومن قال غير ذلك؟ إنَّ ما فعلناه من أعمالٍ خاصةٍ بالشياطين فقط!

عثمان: دعونا ننهي هذا الموقف ... إنَّني أشاهد أضواء «ليما» العاصمة من هنا، كما أنَّ «قيس» بحاجة إلى إسعاف سريع.

أحمد: معك حق يا «عثمان» ... وأعتقد أنَّ ما تبقى من رحلتنا لن يزيد على ساعة واحدة.

قالت «زبيدة» بقلق: ولكن ... ربما يهاجمنا بعضهم فيما تبقى من مسافة قبل الوصول إلى «ليما»، ونحن بلا سلاح بعد فقدنا ذخيرتنا.

ردَّ «أحمد»: لا أظنُّ، فقد انتهينا من هؤلاء الإرهابيِّينَ وأَبَدْناهم جميعًا ... وابتسم ابتسامة واسعة وهو يكمل: وحتى لو صادفنا الشيطان ذاته، فإنَّنا كَفِيلُونَ بالتعامل معه ... فالشياطين ليست بحاجة إلى أسلحة للدفاع عن نفسها.

وقفز إلى السيارة الجيب مع بقية الشياطين، وانطلق يهبط الطريق الجبلي لأسفل نحو العاصمة «ليما»، وخلفه سيارة الفريق العربي.

وجاء في رسالة «إلهام» التي بَعَثَتْها إلى رقم «صفر».

وجاء في رسالة «إلهام» التي بَعَثَتْها إلى رقم «صفر» بعد إنهاء السباق: «أَنْهَيْنا المهمة بنجاح ... «قيس» يتماثل للشفاء سريعًا، والفريق العربي حصل على مركز متقدِّم، ونال الإرهابيون درسًا لن ينسوه أبدًا ... مع تحيات الشياطين ... التفاصيل تحتاج إلى مجلد.»

وجاء الردُّ من رقم «صفر»: «أهنئكم بنجاحكم الباهر ... لستُ بحاجة إلى معرفة التفاصيل، فأنا أستطيع أن أتخيلها ... تلقَّت حكومتنا شكرًا من الحكومة العربية التي يشغل والد «سالم» فيها منصبًا هامًّا ... إنَّكم مدعُوُّونَ لقضاء إجازة قصيرة هناك لتكريمكم.»

تناولَتْ «إلهام» البرقية، وقالت لزملائها: ما رأيكم في إجازة قصيرة عند «سالم» في البلد العربي الشقيق؟

ردَّ «أحمد»: إنَّنا بحاجة إلى مغامرة جديدة ... وأظنُّ أنَّ هذا هو التكريم الوحيد الذي يُعجَبُ به الشياطين ...

وابتسم ابتسامة واسعة، ما لبثت أن تحوَّلَتْ إلى قَهْقَهة عالية، شاركه فيها بقية الشياطين، فلَمْ يكن هناك بالفعل ما يمكن أن يثير اهتمامهم ويحمسهم أكثر من مغامرة جديدة، وخطر جديد في أي مكان في العالم.

هنـــداوي